خطبة عيد الأضحى المبارك[1]

بعنوان:" نعمة الإسلام"

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

عباد الله:

ففي هذا اليوم العظيم الذي جعله الله شعيرة عظيمة من شعائر الدين يفرح به المسلمون ويهنئ بعضهم بعضا ويتقربون إلى الله بأنواع القربات من الذكر والنسك والهدايا والأضاحي وغير ذلك

[1]:ملاحظة:هناك خطبة أخرى لعيد الأضحى المبارك في كتابي الآخر (خطب المناسبات) بعنوان:"فضل العيد وآدابه" وهناك أربع خطب أخر في كتابي الآخربعنوان(خطب رمضان والعيدين)

نحب أن نذكر أنفسنا بأعظم نعمة أنعمها الله علينا لنشكره عليها ونحافظ عليها بالعمل بها ألا وهي نعمة الإسلام ,فإنها أعظم نعمة على الإطلاق.

قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}[المائدة:3] فسماه الله نعمة وأخبر أنه أكملها وأتمها لنا ونزلت هذه الآية في يوم عيد,وهو يوم عرفة ويوم الجمعة.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ رضي الله عنه، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: {اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} [المائدة: 3] قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ»

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: هَذِهِ أَكْبَرُ نِعَمِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ حَيْثُ أَكْمَلَ تَعَالَى لَهُمْ دِينَهُمْ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى دِينِ غَيْرِهِ، وَلَا إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا جَعَلَهُ اللَّهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَلَا حَلَالَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ، وَلَا دِينَ إِلَّا مَا شَرَعَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْبَرَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا خُلْف، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا} [الْأَنْعَامِ: 115] أَيْ: صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَلَمَّا أَكْمَلَ الدِّينَ لَهُمْ تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} أَيْ: فَارْضَوْهُ أَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّهُ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللَّهُ وَأَحَبَّهُ وَبَعَثَ بِهِ أَفْضَلَ رُسُلِهِ الْكِرَامِ، وَأَنْزَلَ بِهِ أَشْرَفَ كُتُبِهِ. اهـ

فهذا هوالدين القويم وهو الصراط المستقيم ولهذا فإن المسلم يدعو ربه في كل ركعة أن يهديه إليه ويثبته عليه قال تعالى: {اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيم * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ}[الفاتحة:6-7]

قال ابن كثير رحمه الله: صراط الذين أنعمت عليهم هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، حَيْثُ قَالَ: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا} [النِّسَاءِ: 69، 70] .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ، مِنْ مَلَائِكَتِكَ، وَأَنْبِيَائِكَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ. اهـ

والصراط صراطان صراط الدنيا وهو الإسلام وصراط في الآخرة وهو الصراط المنصوب على متن جهنم الذي يمر عليه الناس, فناجٍ مسلَّم ومخدوشٌ مرسل ومكردسٌ في نار جهنم والعياذ بالله, فكيف ما كان سير العبد في صراط الدنيا الذي هو الإسلام يكون سيره على صراط الآخرة الذي على متن جهنم,فإذا كان العبد مسارعا في الخيرات بعيدا عن المنكرات ,ممتثلا للواجبات ومجتنبا للمنهيات فإنه يكون من أسرع الناس مرورا على صراط الآخرة ويكون من الناجين بإذن رب العالمين.

قال ابن القيم رحمه الله:"وللهداية مرتبة أخرى وهي آخر مراتبها وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة وهو الصرط الموصل إليها فمن هدى في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه هدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الركاب ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبوا حبوا ومنهم المخدوش المسلم ومنهم المكردس في النار فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حذو القذة بالقذة {جزاء وفاقا} {هل تجزون إلا ما كنتم تعملون}

ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه فإن كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك وما ربك بظلام للعبيد"اهـ

فمن وفقه الله لهذه النعمة فقد حاز الخير كله وظفر بالمطلوب ونجى من المرهوب وفاز بسعادة الدارين قال تعالى: {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ

فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ}[الزُّمَر:22]

قال المفسر الطبري ـ رحمه الله ـ: (فهو على نور من ربه) أي:على بصيرة ويقين بتنوير الحق في قلبه. اهـ

وقال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون}[الأنعام:125]

قال البغوي:أي: يشرح صدره للإسلام أي يوسع صدره لقبول الحق. اهـ

وروى الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ».

فهذا هو عنوان الفلاح وهو النور المبين والسبيل القويم

قال تعالى: { قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم }[المائدة:15]

وهو الدين الذي لا يقبل الله دينًا سواه قال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين}[آل عمران:85]

وقال تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُون}[آل عمران:83]

وجاء عند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»

فإننا نرى خلقا كثيرا قد حرموا هذه النعمة, بل ملايين البشر لم يعتنقوا هذا الدين فصاروا يتخبطون في ظلمات الكفر فأذلهم الله فمنهم من يعبد الفروج ومنهم من يعبد الفئران ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد الأقمار ومنهم من يعبد الأبقار, وأنت أيها المسلم أكرمك الله بهذا الدين تعبد إلهك الحق

الذي خلقك ورزقك وصورك وأحسن صورتك وستلاقيه يوم القيامة فيثيبك بعملك ويرفع درجتك بدينك وأنت خير من ملء الأرض من هؤلاء الكفار وإن كنت فقيرا,فاستحضر هذه النعمة العظيمة, ولا تنبهر بما أعطاهم الله من حطام الدنيا الزائل فإن الله سبحانه وتعالى سيعذبهم بذلك وإن الله وصفهم بأنهم كالأنعام بل أضل من الأنعام لأنها تؤدي وظيفتها التي خلقت من أجلها, وهؤلاء لم يؤدوا الوظيفة التي من أجلها خلقوا, وإن الحيوانات تسبح لله وتمجده وتقدسه ,وهؤلاء لم ينزهوا الله ولم يمجدوه ولأن الحيوانات تدرك ما يضرها فتجتنبه وهؤلاء لم يدركوا ما يضرهم ولم يجتنبوه.

قال الله في كتابه الكريم: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُون}[الأعراف:179]

قال العلامة ابن كثير رحمه الله: كَمَثَلِ الْأَنْعَامِ إِذَا دَعَاهَا رَاعِيهَا لَا تَسْمَعُ إِلَّا صَوْتَهُ، وَلَا تَفْقَهُ مَا يَقُولُ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي هَؤُلَاءِ: {بَلْ هُمْ أَضَلُّ} أَيْ: مِنَ الدَّوَابِّ؛ لِأَنَّ الدَّوَابَّ قَدْ تَسْتَجِيبُ مَعَ ذَلِكَ لِرَاعِيهَا إِذَا أَبَسَّ بِهَا، وَإِنْ لَمْ تَفْقَهْ كَلَامَهُ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ؛ وَلِأَنَّ الدَّوَابَّ تَفْقَهُ مَا خُلِقَتْ لَهُ إِمَّا بِطَبْعِهَا وَإِمَّا بِتَسْخِيرِهَا، بِخِلَافِ الْكَافِرِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا خُلِقَ لِيَعْبُدَ اللَّهَ وَيُوَحِّدَهُ، فَكَفَرَ بِاللَّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ. اهـ

وقال العلامة البغوي رحمه الله: أَيْ: كَالْأَنْعَامِ فِي أَنَّ هِمَّتَهُمْ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالتَّمَتُّعِ بِالشَّهَوَاتِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ تُمَيِّزُ بَيْنَ الْمَضَارِّ وَالْمَنَافِعِ، فَلَا تُقْدِمُ على المضار و هؤلاء يُقْدِمُونَ عَلَى النَّارِ مُعَانَدَةً مَعَ الْعِلْمِ بِالْهَلَاكِ. اهـ

فمن جانب هذا الدين فقد خسر الدارين: { قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين}[الزُّمَر:15] فديننا الإسلامي دين السماحة ودين اليسر والرحمة ودين الخيرية فما من خير إلا ودل عليه, وما من شر إلا وحذر منه ,فأحل الله الطيبات وحرم الخبائث, فمن تمسك به هدي ونجى ومن تخلف عنه ضل وغوى, وخسر وهوى ,فيجب على كل مسلم أن يحافظ على هذه النعمة العظيمة وذلك بالعمل بها وشكر الله عليها قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد}[إبراهيم:7]

ومن الحفاظ على نعمة الإسلام العمل به وإقامة شرائعه والوقوف عند حدوده والإتيان بأركانه من توحيد وصلاة وزكاة وصيام وحج والأخذ به من جميع جوانبه والثبات عليه حتى الممات كما قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين}[البقرة:208]

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:102] والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

فكل شيء دعا إليه الإسلام فهو حق وكل شيء حذر منه فهو باطل وكل شيء أحدث فيه من المحدثات فهو بدعة وضلالة وإن جاء بها بعض من ينتسب إلى الإسلام فهي مردودة على صاحبها لقوله صلى الله عليه وسلم: "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» رواه الترمذي والطبراني والنسائي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

وينبغي على المسلم أن يسأل الله الثبات على هذا الدين فقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: يا مقلب القلوب ثبت قلب على دينك. رواه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها.

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَاعِدًا وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا وَلَا تُطِعْ فِيَّ عَدُوًّا ولاحَاسِدًا. رواه الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه.

أيها المسلمون عباد الله:

ضحوا تقبل الله ضحاياكم ,فأحسنوا في ذبح هذه البهيمة وتجنبوا المخالفات التي ما أنزل الله بها من سلطان,وأخلصوا فيها لله تعالى فإن الله غني عنها ولن يناله من لحومها وإنما شرعها لكم وجعل نفعها عائد عليكم ثم يثيبكم عليها قال تعالى:" لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ" [الحج : 37]

ولا تبخلوا على الفقراء والمساكين في هذا اليوم جودا من أموالكم على من لا مال له ,واجعلوا من هذه الأضاحي لمن لا أضحية له, تجدوا أجرها وذخرها عند الله سبحانه وتعالى.

واشكروا الله عليها بذكره وعبادته فلا يجوز لكم أن تستعينوا بها على معصيته فإن هذا من كفر النعمة,وذلك أن تصرف النعمة فيما يغضب الله أو يستعان بها على معصيته,فليس من شكر النعمة أن يبيح الله لك أن تذبحها فتهريق دمها وتزهق روحها وتقطع أوصالها وتأكل لحمها ثم تذهب تعصي الله تعالى وتترك الصلاة فليس هذا من العدل والإحسان"فصل لربك وانحر"

واجتنبوا المخالفات والمعاصي والمنكرات التي يحدثها بعض الناس في أيام الأعياد من أغاني واختلاط الرجال بالنساء الأجانب وتصوير الأرواح فكل هذا مما نهى عنه الإسلام .

وتجنبوا الإسراف والتبذير,ولابأس من التوسع في المباحات في مثل هذا اليوم بلا إسراف ولا تقتير ولا بخل ولا تبذير وإنما يكون ذلك في حدود الشرع وضوابطه.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

اللهم احفظنا بالإسلام قاعدين واحفظنا بالإسلام قائمين واحفظنا بالإسلام راقدين ولا تشمت بنا الأعداء والحاسدين اللهم ثبتنا على هذا الدين وتوفنا مسلمين والحمد لله رب العالمين.